

خواتيم سورة الجمعة دراسة بيانية فقهية

شهادة حميدي العمري*

ملخص

يدرس هذا البحث خواتيم سورة الجمعة، دراسة بيانية وفقهية، هذه الآيات الثلاث التي جاءت تدعو الذين آمنوا أن يسمعوا إلى ذكر الله، وتنهاهم عن البيع وقت النداء، وتبيح لأهل الجمعة أن ينتشروا في الأرض بعد الصلاة ابتغاء لفضل الله تعالى، ذاكرين الله، مطمئنين بأن الله عز وجل هو خير الرازقين.

Absrtact

This research examines the eloquence of fiqh in the last three verses of the Friday chapter. These verses call upon the men of faith to hasten earnestly to answer the call on the day of assembly and leave off business and join in the common worship and devotion.

Then they may disperse about their business they should always remember the praises of Allah and that it is he alone that can provide for their needs and his gifts are the best.

*كلية الشريعة، جامعة السلطان قابوس، عُمان.

تاريخ قبول البحث: 2005/1/18

تاريخ استلام البحث: 2004/7/8

* جميع الحقوق محفوظة لجامعة مؤنة، ISSN 1021-68042005

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تأملتُ خواتيم سورة الجمعة، ووقفني ما فيها من بديع الأسرار البانية، ولطيف الأحكام الفقهية، فرأيت من المناسب والمفيد إفراد هذه الآيات الثلاث بهذا البحث الوجيز ووسمته بـ (خواتيم سورة الجمعة: دراسة بيانية وفقهية) عرضت فيه لنظم الآيات الكريمات، وما في مضامينها من فقه دون الدخول في التفاصيل من شروط وأركان ومستحبات، فإن عملها في المطولات من مؤلفات الفقهاء رحمهم الله تعالى، قال أبو حيان في ختام تفسيره لسورة الجمعة: "وقد ملأ المفسرون كثيراً من أوراقهم بأحكام وخلاف في مسائل الجمعة مما لا تعلق لها بلفظ القرآن". (1)

وجاء البحث في ثلاثة مطالب وخاتمة.

المطلب الأول: آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة الجمعة آية: 9

المطلب الثاني: آية ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة الجمعة آية: 10

المطلب الثالث: آية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ سورة الجمعة آية: 11

وأما الخاتمة فعرضت فيها لخلاصة البحث وبرز نتائجه.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في الدارين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المطلب الأول

آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة الجمعة، آية (9).

في الآية ستة فروع:

الفرع الأول: صلة الآية بافتتاح السورة الكريمة.

بدئت سورة الجمعة بقوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (2). وهذا الافتتاح " بالإخبار عن تسبيح أهل السموات والأرض لله تعالى براعة استهلال؛ لأن الغرض الأول من السورة التحريض على شهود الجمعة، والنهي عن الأشغال التي تشغل عن شهودها... " (3) ومن تأمل آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ...﴾ أدرك أنها جاءت لبيان أحكام هذه الفريضة الأسبوعية والشعيرة الإيمانية، هذه الفريضة التي هي من أكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى عرفة... " (4). فلا غرو إذا ختمت السورة الكريمة المفتحة بالتسبيح بأهل الإيمان الذين يذكرون الله تعالى ذكراً كثيراً.

الفرع الثاني: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

بدئت الآية الأولى من خواتيم سور الجمعة بنداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا النداء الرباني لعباده المؤمنين فيه إيقاظ وتنبيه إلى أن ما بعده أمر حليل حري بالمؤمنين أن يستجيبوا له، إنه الأمر الإلهي بالسعي إلى صلاة الجمعة. وإذا أمعنت النظر في هذه الجملة البذرة أدركت أنها تحمل في مضامينها أسراراً بيانية رائعة، منها: أولاً: استعمال حرف النداء (يا)، هذا الحرف الذي يُنادى به البعيد في أصل الاستعمال، " وقد يتردّد القريب منزلة البعيد... إشارة إلى علو مرتبته، فيجعل بُعد المنزلة كأنه بُعد في المكان... " (5). ومن عجيب بلاغة هذا الحرف أنه يسد مسدّ جملة مستقلة يتوافر فيها المسند والمُسند إليه، بيان ذلك أن حرف (يا) قد جاء بدلاً عن الجملة الفعلية: أناذي أو أَدْعُو (6) هذا الفعل المضارع المَهْمُوزُ المحذوف يكون الفاعل فيه مستتراً وجوئاً، وبناءً عليه يكون الفعل هو المسند، والفاعل المستتر وجوئاً تقديره (أنا) هو المسند إليه، فجاء هذا الحرف الشجاع المقدم ليسد مسد هذه الجملة الفعلية، فله در الإعجاز ما أعظمه!!

ولذلك " لم يقع في القرآن نداء بـ (أي)، ولم يقع فيه كذلك نداء بالهمزة، وإنما استعمل في النداء (يا) وحدها دون غيرها لأنها أندى... " (7) وتعمل مادتها رسالة بيانية هادفة لا تجدد حرفاً يقوم بأدائها، ولذلك عُدت أم أدوات النداء. ثانياً: ومن الأسرار البيانية في هذه الجملة الشريفة مجيء الاسم المبهم (أي) مقترناً به هاء التنبيه، و (أي) منادى مبني على الضم في محل نصب.

وأما (الذين آمنوا) ففيه من دلائل الإعجاز القرآني أن الاسم الموصول (الذين) يفيد أن المخاطب يعرف ما في صلته ولا يجهله، وهذه الفائدة إنما تظهرها جملة صلة الموصول (آمنوا) المؤلفة من المسند والمُسند إليه أيضاً.

وإن التعبير بـ (الذين آمنوا) دون (المؤمنون) يحمل في طياته بلاغة قرآنية لا تجدها في كلمة (المؤمنون) لما يفيد الاسم الموصول من فوائد بلاغية يمتاز بها على غيره هـش لها أساطين البلاغة وفرسان البيان، قال التفنيزاني في كتابه المطول في شرح تلخيص المفتاح بعد عرضه لأمثلة من فوائد استعمال الاسم الموصول قال: "...وقد يقصد بالموصول الحث على التعظيم أو التحقير أو الترحم أو نحو ذلك... ولطائف هذا الباب لاتكاد تضبط" (8). وهو ماقرره السيد أحمد الهاشمي في كتابه (جواهر البلاغة) قال "اعلم أن التعريف بالموصولية مبحث دقيق المسلك، غريب الزعة يوقفك على دقائق من البلاغة تؤنسك إذا أنت نظرت إليها بثاقب فكرك، وتلج صدرك إذا تأملت بها بصادق رأيك، فأسرار ولطائف التعريف بالموصولية لا يمكن ضبطها، واعتبر في كل مقام ماتراه مناسباً". (9)

وأما الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى أجزل الله له المثوبة فقال كلاماً رائعاً في بيان أهمية التعبير بالاسم الموصول في كتابه خصائص التراكيب استميج لنفسه نقل بعض فقراته لبيان فائدة التعبير بالاسم الموصول قال في ختام كلامه عن هذا الاسم: "ومما هو ظاهر في صور الكلام أن طريق التعريف بالموصولية أشيع هذه الطرق سواء في ذلك كلام الله سبحانه وكلام الناس، وذلك لأنه مفرد متضمن جملة، ولذلك يتسع لكثير من أحوال المعارف... وذلك بخلاف الضمير والعلمية والكنى فإنها محددة جامدة في دلالة واحدة، وهذا واضح" (10) في الاستعمال إذ الاسم الموصول لا يستغني عن صلته التي يعربها أهل النحو بأنها جملة لا محل لها من الاعراب، لأن الاسم المفرد لا يسد مسدها، ولذلك لا تكون صلة الموصول مسنداً ول مسنداً إليه .

ومن هنا تظهر براعة التعبير القرآني بالاسم الموصول الذي أوضح مع صلته الصفات الإيمانية لأولئك الأخيار الأبرار الذين يدعواهم وهم لأداء صلاة الجمعة في هذا اليوم الحافل بالخيرات والبركات .

الفرع الثالث: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ .

صدرت هذه الجملة الفذة بـ (إذا) التي تدل على التحقق والوقوع، إذ من شأن الذين آمنوا أن يستجيبوا لنداء وهم سبحانه وتعالى لذلك ناسب مجيء (إذا) دون (إن) التي تدل على التشكيك في الوقوع، ولأهمية الفروق البانية بين (إذا) و(إن) أظن علماء المعاني في بيان دلالات هذين الحرفين قال القزويني في كتابه (الايضاح في علوم البلاغة): "إن وإذا هما للشرط في الاستقبال، لكنهما يفترقان في شيء، وهو أن الأصل في (إن) لا يكون الشرط مقطوعاً بوقوعه،... والأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه..." (11).

وأما الامام ابن السبكي فقال في كتابه الموسوم بـ (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح): "إن كلا منهما للشرط في الاستقبال، يعني أن فعل الشرط فيهما لا بد أن يكون مستقبل المعنى سواء كان ماضي اللفظ أو مضارع، وهذا

متفق عليه ... لكن الأصل في (إن) عدم الجزم بوقوع الشرط ... وأصل (إذا) الجزم ... ثم قال ابن السكيت: "وتنفرد (إذا) بالمجزم به ..." (12)

أما الفعل (نودي) فجاء ماضياً مبنياً للمجهول؛ لأن الغاية من مجيئه إنما هي الإعلام والإعلان بالنداء فحسب دون النظر إلى الفاعل إذ يجوز لأي مسلم من أهل النداء أن يؤذن للصلاة ما دام يتقن ألفاظ الأذان المشروعة المعلومة.

وإذا أمعنت النظر في ألفاظ هذه الجملة الكريمة أدركت أن المراد بالأذان هو أذان صلاة الجمعة دون غيرها من الصلوات، وهذا المعنى قرره الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه (الأم) قال: "فذكر الله عز وجل الأذان للصلاة، وذكر يوم الجمعة، فكان بيننا - والله أعلم - أنه أراد الصلاة المكتوبة بالآيتين معاً، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأذان للمكتوبات، ولم يحفظ عن أحد علمته أنه أمر بالأذان لغير صلاة مكتوبة". (13)

وإذا كان ذلك كذلك علمت مقدار أهمية صلاة الجمعة التي جاء النداء إليها خاصة دون غيرها من الصلوات، وأما أخواتها الصلوات المكتوبات فقد تكفلت السنة المشرفة ببيان الأذان لها.

ولهذا "أوجب الله عز وجل - والله أعلم - إتيان الجمعة، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأذان للصلوات المكتوبات فاحتمل أن يكون أوجب إتيان صلاة الجماعة في غير الجمعة، كما أمرنا بإتيان الجمعة، وترك البيع، واحتمل أن يكون أذن لها لتصلّى لوقتها". (14)

وإذا كان النداء لصلاة الجمعة قد نصّ عليه القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة، فإن "الله عز وجل لم يبين لنا كيفية الأذان في هذه الآية، ولا في غيرها من كتابه، ويثبت لنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم". (15)

ولك أن تسأل عن اللام في (للصلاة) علام تدل؟

والجواب: أن هذه اللام للتعليل؛ أي إذا نودي لأجل صلاة الجمعة، وأما حرف الجر (من) في قوله تعالى (من يوم الجمعة) فاحتلت فيه أنظار المفسرين.

يرى الإمام الزمخشري أن (من) للبيان والتفسير، قال رحمه الله تعالى: "فإن قلت: (من) في قوله تعالى (من يوم الجمعة) ما هي؟

قلت: هي بيان لـ (إذا) وتفسير له". (16)

وأما الإمام النيسابوري صاحب غرائب القرآن ف يرى أنها تبيضية، (17) وهو ما رجحه العلامة ابن عاشور في التحرير والتنوير. (18)

وجزم العكبري وابن هشام بظرفية (من)، قال العكبري: " (من يوم الجمعة): (من) بمعنى (في)" (19)، وعدها ابن هشام في معنى اللبيب مرادفة لـ (في) نحو (أرؤني ماذا خلّقوا من الأرض) (20) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ ، ثم قال: "والظاهر أنها في الأولى لبيان الجنس..." (21) وهو هذا القول قد جزم بظرفية (من) في آية الجمعة.

وأما أطفيش فلم يكتف بترجيح ظرفية (من)، بل تعجب ممن يقول بالتبعض والبيان، قال في تيسر التفسير: "و(من) بمعنى (في) كقوله تعالى (أروني ماذا خلقوا من الأرض) (22)، أي في الأرض على أحد أوجه، ثم قال متعجباً من الأقوال المخالفة "ومن العجيب جعلها تبعية وجعلها لبيان إذا...". (23)

وبعد عرض أقوال أهل العلم في معنى (في) أرى أن القول بالظرفية لا ينهض بياناً، إذ التناوب بين حروف المعاني يأباه النظام، ويرده السياق، وهو ما قرره المحققون في علم المعاني.

وأما القول بالتبعض فبدهي؛ لأن النداء والصلاة إنما يكونان في جزء من هذا اليوم. ويتراءى لي أن ما ذهب إليه الإمام الزمخشري هو القول الراجح، ذلكم لأن قوله تعالى (إذا نودي للصلاة) يحتاج إلى تفسير وبيان، فجاءت عبارة (من يوم الجمعة) تبين وتفسر هذه الدعوة الربانية لأداء صلاة الجمعة.

وهذا المعنى ارتضاه أبو حيان في البحر (24) ولم يتعقب الزمخشري كعادته، بل لم يذكر غيره من الأقوال ألبتة. ومن حزم بأن (من) بيانية تفسيرية القاضي أبو السعود، قال في تفسير الآية: (من يوم الجمعة): "بيان لسبب (إذا) وتفسير لها...". (25)

وإذا علمنا أن يوم الجمعة ممتد من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ففي أي وقت يكون النداء لصلاة الجمعة؟ وفي أي وقت تؤدي صلاة الجمعة؟

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: "... وكان لهذا النداء الذي ذكره الله عز وجل في كتابه وبينه على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - وقت معلوم غير مذكور في الآية يجب إثبات الصلاة عنده...". (26)

وبعد أن سرد الإمام الطحاوي عدة روايات في الوقت الذي كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون فيه الجمعة، قال رحمه الله تعالى: "ولما كان الفرض في يوم الجمعة عند أهل العلم على مذهبين، فقوم منهم يقولون: الفرض هو الجمعة لا الظهر، وقوم يقولون: الفرض هو الظهر على حكمها في سائر الأيام غير أن على الناس الذين يجب عليهم فرض الجمعة أن يحضروا الجمعة حتى يصلوها فيسقط عنهم بذلك فرض الظهر، استحال أن يصلي البديل من الظهر قبل وقت الظهر في سائر الأيام، واستحال أن يصلي الجمعة حتى يسقط بها فرض الظهر قبل دخول وقت الظهر". (27)

ثم قال الإمام الطحاوي: "ولما كان وقت الجمعة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما قد شهد لها من النظر، بعد زوال الشمس كان النداء لها أيضاً بعد دخول وقتها، كما كان النداء للظهر في غير الجمعة بعد دخول وقتها" (28) وهذا الكلام الطيب من الإمام الطحاوي - طيب الله مقامه عنده - قد أجمل فيه كلام العلماء، ورجح القول الأشبه بالصواب، والأقوى في هذا الباب.

ومن هنا نعلم أن الأذان يكون بعد الزوال إذ هو الوقت الشرعي لصلاة الظهر في أيام الأسبوع عدا يوم الجمعة، وهذا الأذان : هو: "الأذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك الأذان الثاني بعد الزوال، وجلوس الإمام على المنبر" (29) وهو المراد بوجوب السعي إلى صلاة الجمعة عند رفعه؛ لأن الوقت صار للعبادة، وتأدية هذه الشعيرة الإيمانية، وليس وقتاً للبيع وغيره من شؤون الدنيا والمعاش.

الفرع الرابع: قوله تعالى ﴿فَاسْتَعِزَّ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

اقتربت هذه الجملة بالفاء جواباً للشرط (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) لبيان وجوب السعي على كل المخاطبين المكلفين بصلاة الجمعة لتحقيق العبودية لله تعالى، واحتساباً لوجهه الكريم عز وجل.

وإذا تأملت (فاسعوا) أدركت أنها تحمل في طياتها ومضامينها لطائف التفسير البياني الفقهي، إذ جاء التعبير بالسعي دون المشي لما تقوم به هذه الكلمة من وظيفة بيانية رائعة، فمن تدبر قوله تعالى (فاسعوا) أدرك أنها تدل على عدة معان، منها: المشي على الأقدام، ومنها توجه القلوب، ومنها العمل وهكذا.

يرى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أن السعي في هذه الآية هو العمل لا المشي قال رحمه الله تعالى: "ومعقول أن السعي - في هذا الموضع - العمل لا السعي على الأقدام، قال الله عز وجل ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ (30) وقال عز وجل ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (31) وقال تعالى ﴿وَكَانَ سَعْيُكَ مَشْكُورًا﴾ (32)، وقال تعالى ﴿وَأَنْ لِّئْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (33) (34).

وهو ما ذهب إليه الإمام الزجاج أيضاً، قال رحمه الله تعالى: "والدليل على أن معنى السعي التصرف في كل عمل، قول الله عز وجل ﴿وَأَنْ لِّئْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، فلا اختلاف في أن معناه: وأن ليس للإنسان إلا ما عمل..." (35) وللإمام ابن عطية كلام نفيس أرى من المفيد نقله هنا، قال رحمه الله تعالى: "والسعي في الآية، ليس الإسراع في المشي كالسعي بين الصفا والمروة، وإنما هو بمعنى قوله ﴿وَأَنْ لِّئْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، (36) فالقيام والوضوء ولبس الثوب والمشى سعي كله إلى ذكر الله تعالى، قال الحسن وقتادة ومالك وغيرهم: إنما نوتى الصلاة بالسكينة، فالسعي بالنية والإرادة" (37). وهو من شدة الاهتمام بصلاة الجمعة لانفرادها عن أخواتها الصلوات المكتوبة بأحكام مستقلة، ومنها على سبيل المثال أن القراءة فيها جهرية بخلاف صلاة الظهر والعصر النهاريين فإن القراءة فيهما تكون سرية.

يظهر هذا الاهتمام بإتيان صلاة الجمعة في وقت مبكر لتحصيل الثواب الجزيل، قال ابن رجب الحنبلي: "والمراد بالسعي شدة الاهتمام بإتيانها والمبادرة إليها، فهو سعي القلوب، لا سعي الأبدان..." (38).

وإذا أمنت النظر في قوله تعالى (فاسعوا) أدركت بلاغة هذا التعبير الذي بلغ الغاية القصوى في البيان القرآني، فقد جاء محتملاً لمعان عدة، منها: الإخلاص، وهو ما ذهب إليه الإمام الطحاوي في أحكام القرآن، قال رحمه الله تعالى: "ومعنى السعي المأمور به فيها عندنا هو الإخلاص، وقد ذكر الله عز وجل السعي في غير هذا الموضع قال الله عز وجل ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (39) ... وقال عز وجل ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ، وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ (40) وقال عز وجل ﴿وَأَنْ لِّئْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (41) فلم يكن مراده عز وجل في شيء من ذلك السعي المنهي عن إتيان الصلوات عليه من السرعة في المشي والعدو، بل كان على ما سوى ذلك من الإرادات بالقلوب، فالسعي المذكور في الآية التي تلونها هو هذا السعي، والله أعلم" (42).

ثم قرر قول القائلين بأن المراد به المشي فقال: "وكذلك نأمر الذي يأتي للصلاة بالمشي على هيئة لا يأتيها وقد حصره النفس الذي شغله عنها، وتقطعت عما أمر به فيهما، وهذا قول مالك، وأبي حنيفة، والثوري، وأبي يوسف، ومحمد، والشافعي، وسائر أهل العلم" (43).

وانظر الى النسق الفريد، والترتيب العجيب من مجيء الجار والمجرور (الى ذكر الله) متعلقاً بفعل الأمر (فاسعوا)، إنه أمر إلى ذكر مَنْ نَعْمُهُ لا نَعْد ولا تَحْصَى، إلى خالق الإنسان في أحسن تقويم، الذي قال في محكم التنزيل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (44) إنه السعي بالقلوب والأرواح، وبالأقدام والجوارح إلى الغاية الغالية التي ينفذها المسلم في حياته ليظمن قلبه بذكر الله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (45) وذلك محقق بالاستماع إلى خطبة الجمعة وأداء الصلاة.

ولقد أفاد حرف الجر (إلى) انتهاء الغاية من السعي، وهو البداية الدالة على المراد من السعي، وجاء قوله تعالى (ذكر الله) دون الصلاة ليتناسب رصف المباني وفق رصف المعاني، إنما كلمتان عظيمتان، الأولى: كلمة (ذكر)، هذه الكلمة التي تحمل في مادتها وصيغتها دلالات سامية في نفوس المسلمين، تلهج ألسنتهم بذكر الله سبحانه في صلواتهم وعبادتهم، وحر كائهم وسكنائهم، وفي جميع أحوالهم.

وأما الكلمة الثانية: فهي لفظ الجلالة (الله) عز وجل، فقد جاء مضافاً إلى كلمة (ذكر) ليفيد المهابة في النفوس، والإجلال في القلوب، إذ فخامة المضاف إنما هي مستفادة من عظمة المضاف إليه.

والحق أن ذكر الله في هذا السياق ليس معناه الذكر المطلق، إنما المراد به، خطبة الجمعة وصلاتها، ولا يصح صرف معنى (ذكر الله) إلى معنى آخر؛ لأن نظم الآية يدل على الصلاة والخطبة، وجاء التعبير عن الخطبة والصلاة بقوله تعالى (إلى ذكر الله) من باب "تسمية الشيء بأشرف أجزائه" (46). هذا أولاً.

وأما ثانياً: فإن التعبير (إلى الصلاة) لا يتلائم وسياق الآية من حيث اللفظ والمعنى، أما من حيث اللفظ فإن الآية تنادي أهل الإيمان (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة..) فلو جاءت كلمة الصلاة بدل (إلى ذكر الله) لحصل تكرار في التعبير (نودي للصلاة)، (فاسعوا إلى الصلاة) وهو مما يابأه النظم، ولا يقبله الإعجاز، هذا من حيث اللفظ. أما من حيث المعنى: فإن مجيء (إلى الصلاة) يفهم منه أن الأمر بالسعي إنما هو لأداء الصلاة، والخطبة ليست جزءاً ولا ركناً وإنما هي نافلة يستغنى عن حضورها.

ولذلك جاء التعبير القرآني الرائع (إلى ذكر الله) لبيان ارتباط الخطبة بالصلاة وإنما لا تنفك عنها، إذ تقوم مقام ركعتين من صلاة الظهر، مع الاختلاف في الأحكام، ولذلك ناسب القعود بين الخطبتين تشبهاً بالركعتين. وإذا كان ذلك كذلك فإنك لتعجب من بلاغة النظم القرآني في التعبير إذ جاء اختيار (إلى ذكر الله) ليكون الغاية من السعي لما يحققه من زيادة الإيمان في قلوب الذين آمنوا، والله الموفق.

الفرع الخامس: قوله تعالى ﴿وَذَرُوا النَّبِيعَ﴾.

هذه الجملة معطوفة على الجملة السابقة (فاسعوا إلى ذكر الله)، إنما أمر ونهي بينهما من الوشائج ما لا يخفى على الألباء، إذ الجملتان من الإنشاء الطلبي.

لقد جاء فعل الأمر (وذروا البيع) لمنع المسلمين من البيع ونهي أهل الجمعة عن التجارة وما إلى ذلك عند النداء، إنه أمر بترك رمز من رموز هذه الدنيا الفانية، إنه البيع، وهو بطبيعة الحال نتيجة لمن حقق المطلوب من الأمر الأول (فاسعوا) لأن من سعى (إلى ذكر الله) فقد سعى إلى ترك البيع وغيره لتحقيق ما أمره به سبحانه وتعالى في قوله (فاسعوا إلى ذكر الله).

ولك أن تسأل عن سر التعبير بـ (البيع) دون غيره من المعاملات؟

والجواب: أن الله سبحانه وتعالى "إنما ذكر البيع من بين المحرمات لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق، إذ يكثر به الوافدون من القرى، ويجتمعون للتجارة إذا تعالى النهار فأمروا بالبدار إلى تجارة الآخرة، ونهوا عن تجارة الدنيا". (47) وإذا أمنت النظر في هذه الجملة والجملة السابقة أدركت ما في أعطافها من المعاني الثنوية، والأسرار البيانية، إذ جملة (فاسعوا) الناطقة بالأمر تحمل في طياتها النهي عن الخلود إلى الأرض سواء أكان هذا الخلود راجعاً إلى البيع أم إلى غيره من الشهوات، وسواء أكان التناقل في البيوت أم في غيرها من الأماكن العامة كالمسارح والشواطئ وما إلى ذلك. وعلى الرغم من هذا النهي الكامن في جملة الأمر (فاسعوا) جاءت جملة (وذروا البيع) لبيان النهي الواضح الصريح عن البيع وغيره مما يمنع المسلم من أداء صلاة الجمعة.

وإنك لتعجب من بحى الفعل (وذروا) دون (واتركوا) لما يحمله الفعل (وذروا) من دلالات لا يؤديها (واتركوا) لأن المطلوب من المسلم أن يدع البيع وقت النداء، فإذا قضيت الصلاة عاد إلى البيع وتجارته، ولذلك ناسب بحى (وذروا البيع) دون غيره من الألفاظ، قلله در الإعجاز ما أعظمه!!

ومما يتعلق بهذه الجملة من أحكام فقهية، اختلاف العلماء في حكم البيع وقت النداء، قال الإمام المفسر الفقيه الزمخشري الحنفي في كشفه: "فإن قلت: فإذا كان البيع في هذا الوقت مأموراً بتركه محرماً، فهل هو فاسد؟ قلت: عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع، قالوا: لأن البيع لم يحرم لعينه، ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب، فهو كالصلاة في الأرض المغصوبة والثوب المغصوب، والوضوء بماء مغصوب، وعن بعض الناس: أنه فاسد". (48)، وقال العيني في كتابه (البنية شرح الهداية): "ويحرم البيع بعد النداء" (49).

وقال ابن القاسم في (المدونة) قال مالك: "إذا قعد الإمام يوم الجمعة على المنبر فأذن المؤذنون فعند ذلك يكره البيع والشراء، قال وإن اشترى رجل أو باع في تلك الساعة فسخ ذلك البيع" (50)، وقال الإمام الفقيه المفسر ابن حزم المالكي في التسهيل: " (وذروا البيع) أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون في الأذان، وذلك على الوجوب، فيقتضي تحريم البيع، واختلف في البيع الذي يعقد في ذلك الوقت: هل يفسخ أم لا؟

واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبيد، هل يجوز في ذلك الوقت أم لا؟ والأظهر جوازها؛ لأنه إنما منع من يدعى إلى الجمعة". (51)

ويرى الإمام الشافعي رضي الله عنه أن البيع يحرم وقت النداء الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في كتابه (الأم): "والأذان الذي يجب على من عليه فرض الجمعة أن يذر عنده البيع الأذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك الأذان الذي بعد الزوال وجلس الإمام على المنبر" (52) وهو مذهب الحنابلة قال

الموفق ابن قدامة في (المغني): " والتحریم مقرون بالنداء، فإذا أذن المؤذن عندها يمنع البيع ويلزم السعي؛ لأن الله أمر بالسعي ونهى عن البيع بعد النداء" (53).

ومن تأمل أقوال الفقهاء أدرك أنهم متفقون على تحريم البيع وقت النداء لمن تجب عليهم صلاة الجمعة مستدلين بظاهر الآية الكريمة، فإن قوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) " أوجب السعي ونهى عن البيع، فعلمنا أن نهيه عنه لأنه يشغل عن الواجب" (54) وهو أداء صلاة الجمعة، والنهي في السياق يقتضي التحريم ما لم تصرفه قرينة، وليست ثمة قرينة تخرجه عن التحريم، ذلك لأن أصل البيع مباح والتحريم إنما هو طارئ؛ لأنه يمنع أهل الجمعة من السعي إليها.

الفرع السادس: قوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

جاء قوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ...﴾ بعد أمر ونهى، أمر بالسعي إلى ذكر الله من خطبة وصلاة، ونهى عن بيع وشراء، وقعود وذحول عن الخطبة والصلاة.

وقد بدئت الجملة باسم الإشارة المقترن به لام البعد وكاف الخطاب وميم الجمع تعظيماً لمرتبة مَنْ فعل السعي وترك البيع، قال الامام البقاعي: "ذلكم): أي الأمر العالي الرتبة من فعل السعي، وترك الاشتغال بالدنيا (خير لكم) لأن الذي أمركم به له الأمر كله..." (55).

وهذه الجملة مؤلفة من المسند إليه (ذلكم)، وأما المسند فكلمة (خير) وهي على وزن (أفعل) تفضيل حذف همزة ألفه تخفيفاً إذ الأصل أخير، وقد جاء تنكير (خير) ليفيد تعظيم هذا الخير الذي يناله الذين آمنوا بسعيهم إلى ذكر الله، وتركهم البيع.

هذا الخير العظيم يدركه أهل العلم والعقل، لذلك ناسب محيء جملة الشرط (إن كنتم تعلمون)، وجواها محذوف دل عليه ما قبله، وأفادت (إن) التحفيز والتهيج للذين آمنوا في افتتاح الآية (يا أيها الذين آمنوا).

ومن بديع النظم حذف مفعول (تعلمون) لتذهب النفس فيه كل مذهب، وهذا الحذف فيه من الأسرار البيانية ما لا يخفى على أهل المعاني.

تلكم الآية الأولى من آيات خواتيم سورة الجمعة، بدئت بنداء الذين آمنوا ليسعوا إلى خطبة الجمعة وصلاتها وقت النداء، وأن يتركوا البيع وكل ما يذهل عن الخطبة والصلاة، وختمت ببيان درجة أهل الإيمان وما أعد الله لهم في الآخرة. هذه الآية هي الدليل القرآني على وجوب صلاة الجمعة، "وأما فرض عين على كل من جمع البلوغ والعقل والحرية والذكورة والإقامة إذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقهاء" (56) من الخنفة (57) والمالكية (58) والشافعية (59) والحنابلة (60) في المطولات مستدلين بالكتاب والسنة والاجماع على خلاف بينهم في بعض المسائل الفقهية المتعلقة بالحرية والإقامة.

المطلب الثاني

آية ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة الجمعة، آية (10)

وفيها أربعة فروع:

الفرع الأول: صلة الآية بما قبلها.

قال العلامة ابن عاشور في بيان صلة هذه الآية الكريمة بما قبلها: " وإنما أعقب قوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) تنبيهاً على أن لهم سعة من النهار يجعلونها للبيع ونحوه من ابتغاء أسباب المعاش فلا يأخذوا ذلك من وقت الصلاة، وذكر الله... " (61)

ويراءى لي أن الآية الأولى عرضت لنداء الذين آمنوا بأن يسعوا إلى ذكر الله، ويذروا البيع وغيره مما يؤخرهم عن خطبة الجمعة وصلاتها بعد الزوال، فكان سائلاً سأل عن المعاش وأسبابه، وما يتعلق به، فجاءت هذه الآية الكريمة معطوفة على أختها، ومبدوءة بأداة الشرط غير الجازمة (إذا) مقترنة بالفاء العاطفة (فإذا قضيت الصلاة...).

وإن الناظر في ظاهر نظم الآية والتي قبلها يدرك ما بين الآيتين من مظاهر الإعجاز البياني الفقهي، فقد أمرت الآية المؤمنين بالسعي إلى الصلاة والخطبة وهما عبادة إلهية. ونهت عن البيع والشراء وغيرهما من أشغال الدنيا في وقت النداء، والأمر والنهي قد جاء في جواب الشرط غير الجازم (فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع...).

وهذه الآية الفذة تتصل بأختها من حيث البدء بأداة الشرط غير الجازمة فإن قوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة) يقابل (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة)، هذا أولاً.

أما ثانياً: فإن جواب الشرط في هذه الآية (فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) يقابل قوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع).

لقد جاء التعبير بالتوجه إلى ذكر الله بصيغة الأمر في جملة (فاسعوا) وما تحمله في طياتها من معان بيانية فقهية مرت آنفاً مقروناً بالنهي عن ضده وهو القعود مع الخوالب عن ذكر الله تعالى.

وفي هذه الآية جاءت جملة (فانتشروا) بصيغة الأمر متفقة مع جملة (فاسعوا) بالصيغة مختلفة عنها من حيث المعنى؛ إذ الانتشار يختلف عن السعي لفظاً ومعنى، فالسعي فيه معنى القصد إلى هدف معين؛ فإن الأمر بالسعي في قوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) معلوم القصد سواء أ كان معناه السعي بالأبدان أم بالقلوب، قال الإمام الأزهري في تفسير قوله تعالى (فاسعوا): " فاقصدوا وامضوا إلى ذكر الله، وليس معنى السعي ههنا العَدُو، والسعي: أصله التصرف في كل عمل (62) ومنه القصد بالنية إلى بيوت الله لحضور خطبة الجمعة وصلاتها، وأما الانتشار فمعناه: التفرق، " يقال: جاء القوم نشرًا، أي متفرقين، ورأيت القوم نشرًا أي: متشربين " (63)، ذلكم لأن ظاهر السياق يدل على أن القوم بعد الصلاة التي جمعهم من جهات عدة، ومن أحياء وقرى متفرقة سيعود كل منهم إلى جهته متفرقين لاجتماعهم المهدف إلى مكان واحد

كما جمعهم السعي إلى ذكر الله تعالى. ومن أنعم نظره في سياق الآيتين الكريمتين يدرك هذه الأسرار البيانية التشريعية الرائعة، ولكل كلمة قرآنية دلالتها الإعجازية في سياقها.

ألعم نظرك في نظم الآيتين وما بينهما من صلوات يفتح الله عليك من فضله، والله ذو الفضل العظيم.

الفرع الثاني: قوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ .

بدلت الآية الثانية من خواتيم سورة الجمعة بهذه الجملة الفذة المبدوءة بأداة الشرط غير الجازمة، الدالة على التحقيق، وقد أفاد الفعل الماضي المبني للمجهول (قضيت) بمادته وصيغته على الحكم بأداء هذه الصلاة والفراغ منها، فإن هذا التعبير يختلف تماماً عن لفظ صليت من عدة جهات منها:

أن يحى صليت الصلاة لا يؤدي المراد من قضيت، على الرغم من جزالة اشتقاق الكلمة الثانية من الأولى كقولهم ليلة ليلاء وما شابه ذلك. هذا أولاً.

أما ثانياً: فإن كلمة صليت قد يفهم منها الخروج من الصلاة والانتشار مباشرة، بينما تدل (قضيت) على معان سامية تفهم من نظمها، إذ تفيد إتمام الصلاة والفراغ منها، وما يتبعها من أذكار وأوراد وغيرها مما له صلة بالصلاة، ولذلك ناسب يحى (قضيت) دون غيرها من الألفاظ، إذ الكلمة القرآنية اختيرت في موضعها ولن نجد لفظة تسد مسدّها أبداً.

وأما لفظة (الصلاة) في الآية فالمراد بها صلاة الجمعة يقيناً بدلالة السياق، وقد جاء التعبير بها مقابلة مع التعبير بـ (إلى ذكر الله) في الآية الأولى؛ إذ الأصل في النداء إنما هو لأداء الصلاة، هذا أولاً.

وأما ثانياً: فإن الصلاة تؤدي بعد خطبة الجمعة فهي آخر الأعمال المنصوية في (إلى ذكر الله) في الآية الأولى.

وإذا أمعنت النظر في النظم الكريم أدركت الأسرار البيانية من كون (الصلاة) نائباً للفاعل، إذ المقصود الصلاة، وهي الغاية دون النظر إلى المصلين لأنهم معلومون من ظاهر النظم في بدء الآيات، وهم المقصودون بالأمر في قوله تعالى (فانتشروا) والله تعالى أعلم.

الفرع الثالث: قوله تعالى ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ .

بعد العبادة يعود المسلم إلى عمله ليجمع بين متطلبات الروح والجسد، وليحقق العبودية لله وحده في الظاهر والباطن، وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بالسعي إلى شعيرة الجمعة، وهي في وقت معلوم وزمن معلوم، وبعدها ما الواجب عليهم؟

يأتي قوله تعالى (فانتشروا في الأرض...) جواباً للشرط (فإذا قضيت الصلاة)، وربما يتبادر إلى الأذهان أن قوله تعالى (فانتشروا) هو أمر واجب، وحتم لازم، والصحيح أنه أمر على الإباحة وليس واجباً، قال الزجاج: "...هذا معناه

الإباحة ليس معناه إذا انقضت الصلاة وجب أن يتحرر الإنسان كما قال (وإذا حللتهم فاصطادوا) (64) فليس على من حل من إحرام أن يصطاد إنما هو مباح له". (65)

إنه الإطلاق بعد التقييد، والإباحة بعد الحظر، والإذن بعد المنع، لقد "أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية بإكثار الذكر..." (66)

إنه الانتشار المترن، إنه الانتشار الذي يدل ظاهر أهله بأنهم القدوة الحسنة للناس أجمعين، ذلكم لأن الذين سعوا إلى ذكر الله هم الذين ينتشرون في الأرض، إنهم منارات هاديات، ومصاحف حية تمشي على الأرض، وهم في انتشارهم إنما يحققون في أنفسهم صفات عباد الرحمن في خواتيم سورة الفرقان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (67) لأن آثار القرآن والصلاة والذكر لا تزال غضة طرية في نفوسهم ظاهرة على جوارحهم بعد قضاء الصلاة، ومحاطبة رب العالمين في فاتحة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (68) ومن هنا ندرك الأسرار البانية الكامنة في التعبير بـ(فانتشروا) في هذه الآية، وبـ(فاسعوا إلى ذكر الله) في الآية السابقة.

وإن الذين آمنوا ليؤمنون بأن الرزق من الله عز وجل ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، قَوْرَبُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (69).

لقد جاء قوله تعالى (وابتغوا من فضل الله) ليشمل كل خير مادي ومعنوي من صلة للأرحام، ومساعدة للمحتاجين وطلب للرزق الحلال وغير ذلك مما يحتاجه عباد الرحمن لشؤون دنياهم وأخراهم، إنما الحرية المقيدة بطاعة الله إرضاء لوجه الله تعالى، فما من شيء يؤديه العبد إلا وله أجر إذا جعله خالصاً لوجهه سبحانه، ولذلك جاء قوله تعالى (من فضل الله) للبيان أو للتبعض فالكل من فضل الله سبحانه، وليس للعبد إلا الكسب بالنية الصالحة، والتوجه الصادق، وحمل هذه الجملة على إطلاقها أولى من تقييدها لعموم اللفظ في قوله (وابتغوا من فضل الله) لتشمل "اكتساب المال والرزق" (70) وغيرها من الفضائل.

ومن روائع الإعجاز عطف جملة (واذكروا الله كثيراً) على قوله (وابتغوا من فضل الله) لتفيد جملة (واذكروا الله كثيراً) "الاحتباس من الانصباب في أشغال الدنيا انصباباً ينسي ذكر الله، أو يشغل عن الصلوات فإن الفلاح في الإقبال على مرضاة الله تعالى" (71).

ومن لطائف الإعجاز أن أول نجم نزل من السماء قد قرن القراءة باسم الخالق سبحانه، قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (72)، لأن القراءة إذا كانت لغرض مرضاة الله تعالى أمست دماراً وويلأ وثبوراً، وأما إذا كانت باسم ربنا الخالق أضحت الحياة رغيدة، والإنسانية سعيدة. وهكذا كل شيء يفعله المسلم لا بد أن يظل العبد ذاكرةً لله تعالى في حركاته وسكناته وجميع مناحي حياته.

وإن هذه الجملة القرآنية الفذة تحمل رسالة دعوية تربية لكل المسلمين وبخاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه المخالفات، ومنها خروج كثير من المصلين من المساجد يوم الجمعة متوجهين إلى ما لا يرضاه الله تعالى ناسين أو متناسين

قول الله تعالى (وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً) لأن الذكر لله سبحانه لا يقع في معصيته ولا يكون في مكان يجرمه الله على عبده، فإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

الفرع الرابع: قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتْلَحُون﴾ .

إذا تأملت هذه الجملة القرآنية راعك بديع نظمها، وحسن بيانها، وعلمت علماً لا يخالطه شك أن القرآن الكريم معجز في إنجازها، كما هو معجز في بلاغته.

لقد جاءت هذه الجملة تذييلاً للآية الكريمة، وتوكيداً لمضمونها، ولذلك خاطبت الذين آمنوا بأسلوب الخطاب المباشر إذناً بعلو درجاتهم عند ربهم سبحانه.

هذه الجملة مؤلفة من (لعل) وهو حرف يفيد الترجي والتعليل، والترجي في حق الله تعالى مستحيل، لكن يفهم معناه أن الله تعالى لا يرجونا، ولكنه يُرجينا بالفوز والفلاح إن أطعنا أوامرهم.

ويصح أن تكون تعليلية على أصلها في الاستعمال، ومعنى (تفلقحون) أي لتحصيل الفلاح والغنيمة، وأفاد التعبير بالفعل المضارع التجدد واستحضار الصورة.

هذه الجملة فيها من لطائف الإعجاز البياني الفقهي ما لا يخفى، فإن تركيبها يتضمن الأسرار البيانية في التعبير، وفقهياً تُحفز أهل الإيمان لتحقيق الفلاح إن هم أطاعوا ربهم سبحانه فيما أمرهم، وانتهوا عما نهاهم عنه وزجر، والله الموفق.

المطلب الثالث

آية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنْ اللَّهْوَ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ سورة الجمعة، آية (11).

في الآية أربعة فروع :

الفرع الأول: صلة الآية بما قبلها.

هذه الآية معطوفة على ما قبلها بواو النسق، وفيها من بلاغة الوصل ما لا يخفى، إذ قامت الواو بوظيفة الربط المحكم المتين بين الآية وأختها، ولما وطيد الصلة بالآية الأولى من خواتيم سورة الجمعة، فقد "عُطف التوبيخ على ترك المأمور بعد ذكر الأمر، وسُلك في المعطوفة طريقة الإلتفات لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم إذناً بأنهم أحرى أن يصرف الخطاب عنهم فحرموا من عز الحضور، وأخبر عنهم بحال الغائبين، وفيه تعريض بالتوبيخ" هذا ما دمج به براع العلامة ابن عاشور، وأضاف رحمه الله تعالى يقول: "ومقتضى الظاهر أن يقال: وإذا رأيتم تجارة أو لهواً فلا تنفضوا إليها، ومن مقتضيات تحريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر هنا أن يكون هذا التوبيخ غير شامل لجميع المؤمنين، فإن نفرأ منهم بقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حين خطبته ولم يخرجوا للتجارة ولا للهو". (73)

ومما لا ريب فيه أن خروج الكلام عن مقتضى الظاهر يعد من لطائف البلاغة، وأسرار المعاني، والسياق هو الحكم في اقتطاف المعاني الكامنة في الألفاظ القرآنية.

ولقد جاءت هذه الآية الكريمة تصور حالة ثلثة ممن شهدوا التزليل، وأخطأوا في تصرفهم دون نعمة أو قصد ومع ذلك كشفت ألفاظ الآية عن سلوكهم، تقوياً لهم ليكونوا على الجادة المستقيمة، وهذه والله من الأسرار البيانية الفقهية الرائعة، إذ الفقه بمعناه العام "هو معرفة النفس ما لها وما عليها". (74)

الفرع الثاني: سبب نزول الآية.

سبب النزول غير معين على تفسير الآية وبيان معناها، ولذلك جدّ العلماء في طلب روايات أسباب النزول وأفردوا المصنفات لهذا العلم الجليل.

وقد عني العلماء في سبب نزول هذه الآية وجمعوا الروايات المتعددة في تفسيرها، وروماً للاختصار من جهة، ومراعاة لمنهج البحث من جهة ثانية اعتمدت رواية البخاري، فقد روى بسنده المتصل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "أقبلت غير يوم الجمعة، ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فثار الناس إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا...﴾ (75)

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "لم أعلم مخالفاً، أنها نزلت في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة..." (76).

والحق أن الروايات في سبب نزول هذه الآية متفقة على أن الآية نزلت بسبب خروج بعض الصحابة رضي الله عنهم لاستقبال القافلة القادمة من الشام مع اختلافها ببعض الجمل والألفاظ. والله الموفق.

الفرع الثالث: قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾ .

هذه الآية يفسرها سبب نزولها، فقد انفضّ نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تلك التجارة القادمة من الشام وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الجمعة، وقد أوماً ظاهر النظم عن عتابهم، وجاء بأسلوب تربوي فريد لن يحد له مثيلاً في الوجود فقال بأسلوب الغيبة دون الخطاب ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾ .

إنه أسلوب يقطع نياط القلب، ولكنه يحمل في طياته الدلالة على أن أولئك الصحابة الأخيار هم بشر وليسوا معصومين عن الخطأ أو الزلل، لذلك جاءت الآية تعمل في مضامينها دروساً تربوية للأجيال، وتفيد أن من خرج إلى التجارة أو للهو يلحقه هذا اللوم الشديد، فكيف بمن لا يصلي الجمعة فضلاً عن لا يصلي البتة !!!.

وإذا أمعنت النظر في نظم الآية أدركت أن القعود لاستماع الخطبة واجب، ولا يصح تركه، ولذلك عاتب الله عز وجل الذين تركوا القعود لاستماع خطبته صلى الله عليه وسلم، وقد عرض لهذه المسألة الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى فقال: "لما عاتب الله عز وجل الناس على القيام عن النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته عليهم، دل ذلك على أن القعود يوم الجمعة واجب على الناس، ولولا ذلك لم يعاتب القائم للتجارة، ولا للهو المباح كما لا يعانون للقيام لذلك عن غير

خطبة الجمعة... (77) وهو استدلال لطيف ينبئ عن علم ومعرفة وحس وذوق، ولا غرابة في ذلك فإن الإمام الطحاوي - نصر الله وجهه عنده - مفسر فقيه، وعالم جهيد.

وأما (إذا) التي بدلت بها الآية فهي ظرف زمان لا تفيد الشرط في هذا السياق لأن ما وقع قد مضى ولا يعود من أولئك الذين عاتبهم رهم، قال العلامة ابن عاشور: "و(إذا) ظرف للزمان الماضي مجرد عن معنى الشرط؛ لأن هذا الانقضاء معنى، وليس المراد إنهم سيعودون إليه بعد ما نزل هذا التوبيخ وما قبله من الأمر والتحريض، ومثله قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ (78)... (79)

وما ذهب إليه ابن عاشور هو اللاتق من سلوك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن هذا الخروج قد مضى ولن يتكرر منهم لشدة أدهم مع رهم سبحانه وتعالى.

وأما التنكير في كلمتي (تجارة) و(لهوا) فيفيد التقليل، إذ التجارة واللهو الذي انفضوا إليه لا يعد شيئاً مقارنة مع الاستماع لخطبة النبي صلى الله عليه وسلم فضلاً عن تركه صلى الله عليه وسلم قائماً على المنبر يخاطب!!
ولك أن تسأل عن السر البياني الفقهي في مجيء (إليها) دون إليهما في سياق قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾ ؟

والجواب عن هذا السؤال يظهر من خلال التأمل في النظم الكريم، وقد اختلفت أنظار العلماء في سر التعبير بـ (إليها) دون إليهما، ليعود الضمير إلى شيئين هما: التجارة واللهو.

ذهب الإمام الزمخشري إلى القول بال حذف كعادته في استكناه أسرار النظم القرآني من خلال الحذف وما فيه من ذوق بياني، وسمر في التعبير، قال رحمه الله تعالى: "فإن قلت: كيف قال (إليها) وقد ذكر شيئين؟ قلت: تقديره: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه". (80)

وأما الإمام ابن عطية - عصره الإمام الزمخشري - فرأى أن الضمير إنما يعود إلى الأهم أخذاً من السياق وسبب نزول الآية، قال رحمه الله تعالى: "قال (إليها) ولم يقل إليهما تهماً بالأهم، إذ كانت سبب اللهو، ولم يكن اللهو سببها، وتأمل إن قدمت التجارة على اللهو في الرؤية لأنها أهم، وأخرت مع التفضيل لتقع النفس أولاً على الأبين" (81) وما قاله ابن عطية اعتمده أبو حيان في البحر (82) ولم يلتفت إلى غيره.

وأما الإمام الشهيد ابن جزي رحمه الله تعالى فنقل قول الزمخشري وابن عطية، وعدهما جوابين عن سؤال السائل عن قوله (انفضوا إليها) بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو " (83) ناسباً كل قول لقائله.

وما أجاب به ابن عطية وارتضاه أبو حيان لم يعجب السمين الحلبي تلميذ أبي حيان، فقد نقل كلام ابن عطية ثم قال: " وفيه نظر لا يخفى؛ لأن العطف بأو لا يبنى معه الضمير ولا الخير ولا الحال ولا الوصف؛ لأنها لأحد الشيئين... " ثم قال السمين: " وإنما الجواب عنه: أنه وحد الضمير لأن العطف بأو، وإنما جيء بضمير التجارة دون ضمير اللهو وإن كان جائزاً لما ذكره ابن عطية من الجواب وهو الاهتمام كما قال غير واحد" ثم قال السمين: " وأجاب الزمخشري بقريب من كلام ابن عطية" (84) .

وما ارتأه السمين طيب، لكنه لا يخرج عن مضامين كلام الإمامين الزمخشري وابن عطية رحمهما الله تعالى. ومثله العلامة ابن عاشور الذي أفاد من الإمامين الزمخشري وابن عطية وجمع بين الأهمية والحذف، قال رحمه الله تعالى: "ضمير (إليها) عائد إلى التجارة؛ لأنها أهم عندهم من الله، ولأن الحدث الذي نزلت الآية عنده هو مجيء غير دحية من الشام، واكتفى به عن ضمير الله..." (85)

ثم اجتهد ابن عاشور وارتأى رأياً آخر قال: "ولعل التقسيم الذي أفادته (أو) في قوله (أو هوأ) تقسيم لأحوال المنفذين، إذ يكون بعضهم من ذوي العائلات خرجوا ليمتاروا لأهلهم، وبعضهم من الشباب لا همة لهم في الميرة ولكن أحبوا حضور الله". (86)

والحق أن قوله "أحبوا حضور الله" بهذا الإطلاق لا يتناسب ومكانة الصحابة رضي الله عنهم، ولذلك وجب عليه أن يقول حضور الله المباح، والأولى حذف هذه الجملة برمتها لعدم الحاجة إليها.

وبعد عرض الأقوال في شأن أفراد الضمير في قوله تعالى (إليها) أرى أن ما ذهب إليه الزمخشري وابن عطية رحمهما الله تعالى يعد من العيون والنكت في توضيح معاني القرآن الكريم، ولا منافاة بين القولين، والله أعلم.

وأما جملة (وتركوك قائماً) فإنها تحمل في أعطافها إعجازاً بيانياً تشريعياً رائعاً، إنها تبين الحالة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خروج القوم إلى التجارة، ودلت عبارة (وتركوك) بمادتها وصيغتها على تفضيع ما صنعوا إذ فرطوا بوعظه صلى الله عليه وسلم، قال العلامة ابن عاشور في تفسير هذه الجملة القرآنية: "تفضيع لفعلهم إذ فرطوا في سماع وعظ النبي صلى الله عليه وسلم، أي تركوك قائماً على المنبر، وذلك في خطبة الجمعة، والظاهر أنها جملة حالية، أي تركوك في حال الموعظة والإرشاد، فأضاعوا علماً عظيماً بانفضاضهم إلى التجارة أو الله" (87).

وقد أفادت (قائماً) وجوب أن يكون الخطيب على المنبر قائماً لا قاعداً، وأما التنكير بـ (قائماً) إلى التعظيم، وفيه تعريض عن تركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في هذا الموقف العظيم.

هذا، وقد اختلفت أنظار الفقهاء في حكم قيام الخطيب على المنبر يوم الجمعة، منهم من قال بالوجوب، ومنهم من قال إن القيام سنة من سنن الخطبة، أذكر تالياً أقوال الفقهاء في هذه المسألة:

أولاً: مذهب الحنفية يرى أن القيام سنة من سنن خطبة الجمعة، قال العيني في (البنية شرح الهداية): "الخطبة تشتمل على فروض وسنن..." وبعد أن ذكر الفروض قال: "وأما السنن فخمسة عشر... والقيام واستقبال القوم بوجهه" (88).

ثانياً: مذهب المالكية عنده طريقتان، قال الخطاطب في شرحه على مختصر سيدي خليل: "وفي وجوب قيامه لهما، تردد" قال الخطاطب: "أي طريقتان: الأكثر على وجوبه" (89)

ثالثاً: مذهب الشافعية، قال الإمام الشافعي في كتابه الأم بعد إيراد آية (وإذا رأوا تجارة أو هوأ انفضوا إليها وتركوك قائماً) قال رحمه الله تعالى: " فلم أعلم مخالفاً أنها نزلت في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة..." (90).

ثم فصل الإمام الشافعي الأحكام المتعلقة بقيام الخطيب في خطبة الجمعة، قال رحمه الله تعالى: "... ولا يجزئه أن يخطب جالساً، فإن خطب جالساً من علة أجزأه ذلك وأجزأ من خطفه، وإن خطب جالساً وهم يرونه صحيحاً فذكر علة فهو أمين على نفسه، وكذلك هذا في الصلاة، وإن خطب جالساً وهم يعلمونه صحيحاً للقيام لم تجزئه ولا آياهم الجمعة، وإن خطب جالساً ولا يدرون أصحح هو أو مريض؟ فكان صحيحاً أجزأهم صلاحهم، لأن الظاهر عندهم أن لا يخطب جالساً إلا مريض، وإنما عليهم الإعادة إذا خطب جالساً وهم يعلمونه صحيحاً فإن علمته طائفة صحيحاً وجهلت طائفة صحته أجزأت الطائفة التي لم تعلم صحته الصلاة ولم تجز الطائفة التي علمت صحته وهكذا في الصلاة..." (91)

رابعاً: مذهب الحنابلة، قال عبد الرحمن بن قدامة في الشرح الكبير على المقنع: "روي عن الإمام أحمد ما يدل على أن القيام في الخطبة واجب وهو مذهب الإمام الشافعي روى الأثرم قال سمعت أبا عبد الله — يعني الإمام أحمد بن حنبل — يسأل عن الخطبة قاعداً أو يقعد في إحدى الخطبتين فلم يعجبه، وقال قال الله تعالى (وتركوا قائماً)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً..." (92).

ومن تأمل كلام الفقهاء أدرك أنهم استدلوا بحملة (وتركوا قائماً) واحتجوا بها فيما ذهبوا إليه من أحكام، وكذلك بما صح من سنته صلى الله عليه وسلم.

الفرع الرابع: قوله تعالى (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)

بعد بيان حال الذين انفضوا جاء النظم بأسلوب الخطاب ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: قل لهم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عند الله من الثواب خير من اللهو والتجارة.

وللإمام الشهيد ابن جزري رحمه الله تعالى كلام نفيس رائع في بيان سر تقدم اللهو على التجارة في سياق هذه الجملة، وتقدم التجارة على اللهو في قوله ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾، أستمح لنفسي نقله قال رحمه الله تعالى: "إن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه، وذلك أن العرب تارة يبتدون بالأكثر ثم يزلون إلى الأقل كقولك: فلان يخون الكثير والقليل فبدأت بالكثير ثم أردف عليه الخيانة فيما دونه، وتارة يبتدون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك: فلان أمين على القليل والكثير فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه، ولو عكست في كل واحدة من المثالين لم يكن حسناً، فإنك لو قدمت في الخيانة القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى، ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة، وكذلك قوله ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها، وأهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونهما، وقوله ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ قدم اللهو ليبين أن ما عند الله خير من اللهو، وأنه أيضاً خير من التجارة التي هي أعظم منه، ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن" (93)، هذا ما سطره قلم الإمام ابن جزري، وهو كلام رائع أفاده من نظم الآية، وما في تراكيبها من دلالات بيانية فقهية.

ويظهر لي أن تقدم التجارة على الله في قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ ، إنما جاء لأن القوم انفضوا لأجلها وهو ما بينه سبب التزول الذي رواه البخاري وغيره وقد مرّ آنفاً، وجاء ذكر الله متأخراً ليتناسب ويتناغم مع جملة ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ إذ أصبح الله متوسطاً وهو الأعم الأكثر، بينما جاءت التجارة بعد الله لأنها أحصى وفيها النفع أكثر من الله الذي لا فائدة فيه، هذا أولاً.

وأما ثانياً: فإن قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ إنما يدل على العطاء ومنه التجارة فناسب أن تكون التجارة في الترتيب بعد الله ليتناسق مع قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ والله تعالى أعلم.

وأما جملة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فجاءت تذيلاً مقررراً ومؤكداً لمضمون الآية، وهي جملة اسمية تدل على الثبات ، ولاسيما أنها بدئت بلفظ الجلالة (الله) وهو المسند إليه، وأما المسند (خير الرازقين) فجاء على صيغة أفعال التفضيل ليس على باب؛ لأنه لارازق على الحقيقة إلا الله وحده ، وهو ما تدل عليه القرينة ، قال البقاعي في تفسير هذه الجملة " (والله) أي ذو الجلال والإكرام وحده (خير الرازقين) لأنه يرزق متاع الدنيا" (94) ، ولذلك وجب على الذين آمنوا أن يسعوا إلى ذكر الله تعالى وحده يطلبون منه الرزق ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (95).

تلكم أبرز مظاهر الإعجاز البياني التشريعي في مضامين هذه الآية الكريمة التي حتمت بها سورة الجمعة، وإذا تأملت نظم الآيات الثلاث أدركت أنها متآخية متعاقبة يأخذ بعضها بحجز بعض لما بينها من الوشائج البيانية ، والعلائق الفقهية . والحمد لله في البدء والختام.

الخلاصة

- وبعد هذا التطواف في رياض آيات خواتيم سورة الجمعة أذكر تالياً خلاصة البحث وأبرز نتائجه :
- إن فريضة الجمعة فرض لازم على المؤمنين لا يصح تركها أو التهاون بها؛ لأن الله تبارك وتعالى نادى أهل الإيمان وأمرهم أن يسعوا لأدائها ، والأمر في هذا السياق يقتضي الوجوب.
 - إن صلاة الجمعة لا تجب على الكفار ؛ لأن النداء الرباني موجه إلى الذين آمنوا، ولذلك لا يطالبون بها حال كفرهم ، ولا يلزمهم القضاء إذا أسلموا.
 - لقد جاء التعبير القرآني (فاسعوا) يحمل في طياته إعجازاً بيانياً تشريعياً تربوياً يأخذ بمجامع القلوب ؛ لأن هذا اللفظ يفيد معاني القصد والتوجه إلى هدف واضح، ويكون بالقلب والقالب، وبالروح والجسد، وهل هناك هدف أسمى من ذكر الله تعالى!!.
 - إن هذه الآيات فيها الرد الحاسم على من يزعم بأن الإسلام يدعو المسلمين إلى الكسل، فقد أمرت الآيات بالسعي إلى الصلاة ونهت عن البيع في وقت قصر هو الزمن الذي يتسع لخطبة الجمعة وصلاتها، ثم أباحت لهم الانتشار والتفرق في أرض الله بعد أداء حق الله تعالى في المساجد ؛ بيوت الله عز وجل في أرضه .
 - صلاة الجمعة يجب أن تكون في العمران لتجتمع المسلمين في أظهر البقاع؛ فتجتمع القلوب ، ويعتصم المسلمون بحبل الله تعالى ، ويتحدد الاجتماع والاعتصام في كل جمعة بما يجمع صف المسلمين ليكونوا ربانيين في جميع أحوالهم .
 - هذه بعض اللطائف البانية ، والفوائد التشريعية ، والفرائد التربوية التي يمكن اقتناصها من سياق الآيات الكريمات ، ومن أنعم نظره فيها فتح الله عليه بحمته وكرمه ، والله سبحانه هو الفتاح العليم .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته إلى يوم الدين

الهوامش

- 1- أبو حيان، البحر المحيط 269/8
- 2- سورة الجمعة، الآية: 1
- 3- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 206/28
- 4- انظر: ابن القيم، زاد المعاد، 274/1 وما بعدها.
- 5- انظر: الهاشمي، جواهر البلاغة ص 88
- 6- انظر: فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها : علم المعاني : ص 162، ص 163
- 7- أبو موسى، أسرار التعبير، ص 4.
- 8- التفتازاني، كتاب المطول، ص 77.8.
- 9- الهاشمي، جواهر البلاغة 111
- 10- أبو موسى، خصائص التراكيب ص 200
- 11- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ص 76.
- 12- ابن السبكي، عروس الأفراح 419/1 .
- 13- الشافعي، كتاب الأم 82/1، أحكام القرآن للبيهقي 58/1
- 14- الشافعي، الأم 153/1
- 15- الطحاوي، أحكام القرآن، 139/1.
- 16- الزمخشري، الكشاف، 532/4.
- 17- النيسابوري، غرائب القرآن، 52/28.
- 18- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 226 / 28.
- 19- العكبري، إملأ ما من الرحمن، 2 / 262.
- 20- سورة فاطر، الآية (40)
- 21- ابن هشام، مغني اللبيب، 614 / 1.
- 22- سورة فاطر، الآية (40).
- 23- أطفيش، تيسير التفسير، 343 / 13.
- 24- أبو حيان، البحر المحيط، 267 / 8.
- 25- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 6 / 248.
- 26- الطحاوي، أحكام القرآن، 142/1.
- 27- المرجع السابق، 144/1.
- 28- المرجع السابق، 144/1.

- 29- الشافعي ، كتاب الأم 1/195 ، البيهقي، أحكام القرآن، 1/93.
- 30- سورة الليل، آية (4).
- 31- سورة الإسراء، آية (19).
- 32- سورة الإنسان، آية (22).
- 33- سورة النجم، آية (39).
- 34- الشافعي ، كتاب الأم 1/196 ، البيهقي، أحكام القرآن، 1/93.
- 35- الزجاج، معاني القرآن، 5/ 171- 172.
- 36- سورة النجم، آية (39).
- 37- ابن عطية، المحرر الوجيز، 16/ 12. 38.
- 38- ابن رجب، روائع التفسير، 2/ 432.
- 39- سورة الإسراء، آية (19).
- 40- سورة عبس، آية (8).
- 41- سورة النجم، آية (39).
- 42- الطحاوي، أحكام القرآن، 1/ 150- 151.
- 43- المرجع السابق 1/150-151
- 44- سورة الذاريات، آية (56).
- 45- سورة الرعد، آية (28).
- 46- النيسابوري، غرائب القرآن، 28/54.
- 47- أبو حيان، البحر المحيط، 8/ 267.
- 48- الزمخشري، الكشاف، 4/536.
- 49- العيني ، البناية، 3/40 48
- 50- سحنون ، المدونة 1/280
- 51- ابن جزي، التسهيل، 2/ 375.
- 52- الشافعي، كتاب الأم 1/195
- 53- ابن قدامة ، المغني 2/145.
- 54- أبو الخطاب الحنبلي 4/17.
- 55- البقاعي ، نظم الدرر 20/66.
- 56- المرجع السابق ، 20/ 66.

- 57- العيني ، النباة 40/3
- 58- سحنون ، المدونة ، 372/1
- 59- الشافعي، كتاب الأم 188/1-189
- 60- ابن قدامة ، المغني 171/2-172
- 61- ابن عاشور ، التحرير والتنوير 227/28
- 62- الأزهرى ، الزاهر ، 78
- 63- الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (نشر) 525/7
- 64- سورة المائدة ، آية 29
- 65- الزجاج، معاني القرآن، 5/ 172.
- 66- الرمخشري، الكشف، 4/ 536.
- 67- سورة الفرقان، آية (63).
- 68- سورة الفاتحة، آية (4).
- 69- سورة الناريات، آية(23،22).
- 70- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 227 / 28.
- 71- المرجع السابق، 227 / 28.
- 72- سورة العلق، آية (1).
- 73- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 227 / 28 - 228.
- 74- قال الإمام الزركشي في كتابه الموسوم بـ (البحر المحيط في أصول الفقه) 1 / 22 عند تعريفه الفقه ،قال : " من المحاسن قول الإمام أبي حنيفة : (الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها) .
- 75- البخاري، الجامع الصحيح (من الفتح) ، كتاب التفسير، باب 8، 2/ 820.
- 76- الشافعي، كتاب الأم 199/1 وانظر: البيهقي، أحكام القرآن، 94/1.
- 77- الطحاوي، أحكام القرآن، 154/1.
- 78- سور النساء، آية(83).
- 79- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 229 / 28.
- 80- الرمخشري، الكشف، 4/ 537.
- 81- ابن عطية، المحرر الوجيز، 12 / 16.
- 82- أبو حيان، البحر المحيط، 8 / 269 .
- 83- ابن جزى، التمهيل، 2 / 375.
- 84- السمين الحلبي، الدر المصون، 6 / 318.

-
- 85- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 28/ 229 - 228.
- 86- المرجع السابق 229/28
- 87- المرجع السابق 229/28
- 88- العيني البناية، 62/3
- 89- الخطاب ، مواهب الجليل 530/2.
- 90- الشافعي ، كتاب الأم، 199/1
- 91- المرجع السابق 199/1
- 92- ابن قدامة ، الشرح الكبير 185/2
- 93- ابن جزوي، التسهيل، 2/ 376.
- 94- البقاعي ، نظم الدرر 71/20
- 95- سورة البقرة، آية(212).

المصادر والمراجع

- الأزهرى : أبو منصور، محمد بن أحمد، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، حققه: شهاب الدين، أبو عمر، دار الفكر، بيروت 1994م.
- أطفيش: محمد بن يوسف، هيمان الزاد، وزارة التراث القومي بسلطنة عُمان، الطبعة الثانية 1994م .
- البخاري: محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، (متن الفتح)، دار السلام / الرياض ، 2000.
- البقاعي: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1/ 1978م.
- البيهقي: أحمد بن الحسين، أحكام القرآن للشافعي، دار الكتب العلمية/ بيروت 1980م.
- التفنازاني: سعد الدين محمود، كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح وهامشه حاشية المير سيد شريف، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، طبعة مصورة عن الطبعة التركية سنة 1330 هجرية .
- ابن جزى: محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم/ بيروت- لبنان.
- الخطاب : أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ، مواهب الجليل لشرح مختصر سيدي خليل، ضبط : زكريا عميرات، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى / بيروت 1995م
- الحلبي : أبو الخطاب أحمد بن الحسن ، التمهيد في أصول الفقه، تحقيق: د.محمد بن علي بن إبراهيم، مؤسسة الريان ، ط/1 2000م .
- أبو حيان: محمد بن يوسف، البحر المحيط، ط2/ 1983م.
- ابن رجب: أبو الفرج عبد الرحمن، جمع وتعليق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة.
- الزبيدي : محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر / بيروت، الطبعة الأولى 1994م
- الزجاج: أبو اسحق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، ط1 / 1988م.
- الزركشي : بدر الدين محمد بن هبندر، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير : عبد القادر العاني، مراجعة د. عمر الاشقر، ط وزارة الاوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، 1992م.
- الزمخشري: محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل، دار الريان للتراث/ القاهرة، دار الكتاب العربي/ بيروت، ط3/ 1987م.
- السبكي : أحمد بن علي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للقرطبي، تحقيق : د. خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية / بيروت ط/1 .
- أبو السعود: محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود، أو (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان، ط1/ 1999م.
- السمين الحلبي: يوسف بن محمد، الدر المصون، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط1، 1994م.
- الشافعي : محمد بن إدريس ، كتاب الأم ، ط دار المعرفة ، د. ت .

- الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد، أحكام القرآن الكريم، تحقيق: الدكتور: سعد الدين أونا، ط1، مركز البحوث الإسلامية/ استانبول 1995م.
- ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع/ تونس.
- عباس: فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني، دار الفرقان، عمان الطبعة الثانية 1989م
- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، المجلس العلمي بمكناس.
- العكري: أبو البقاء عبد الله بن الحسين، إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الشكر للتراث.
- العيني: بدر الدين محمود بن أحمد، البناية شرح الهداية، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.
- ابن قدامة: عبد الله، المعني، دار الفكر / بيروت، طبعة 1994 م.
- ابن قدامة: عبد الرحمن، الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، طبعة 1994م
- القزويني: أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د. رحاب عكاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة/1، 2000م.
- ابن القيم: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، حقق نصوصه: عبد القادر عرفان، مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط2/ 1998م.
- أبو موسى: محمد، الدكتور، من أسرار التعبير القرآني، دار الفكر العربي.
- أبو موسى: خصائص التراكيب، مكتبة وهبة/ القاهرة، ط/5، 2000م
- النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد القمي، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة البابي الحلبي.
- الهاشمي: السيد أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، إشراف: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت 1994م.
- ابن هشام: عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، قدم له: حسن حمد، دار الكتب العلمية، ط1/ 1998م.